

التحرير والتنوير

وجملة (كذلك يجزي ا [المتقين) مستأنفة والإتيان باسم الإشارة لتمييز الجزاء والتنويه به . وجعل الجزاء لتمييزه وكماله بحيث يشبه به جزاء المتقين . والتقدير : يجزي ا [المتقين جزاء كذلك الجزاء الذي علمتموه . وهو تذييل لأن التعريف في (المتقين) للعموم .

(الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلم عليكم ادخلوا الجنة كنتم تعملون [32]) مقابل قوله في أضدادهم (الذين تتوفاهم الملائكة طالمي أنفسهم) فما قيل في مقابلة يقال فيه .

وقرأ الجمهور (تتوفاهم) بفوقتين مثل نظيره . وقرأه حمزة وخلف بتحية أولى كذلك . والطيب : بزنة فيعل مثل قيم وميت وهو مبالغة في الاتصاف بالطيب وهو حسن الرائحة . ويطلق على محاسن الأخلاق وكمال النفس على وجه المجاز المشهور فتوصف به المحسوسات كقوله تعالى (حلالا طيبا) والمعاني والنفسيات كقوله تعالى (سلام عليكم طيبتم) . وقولهم : طبت نفسا . ومنه قوله تعالى (والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه) . وفي الحديث " إن ا [طيب لا يقبل ألا طيبا " أي مالا طيبا حلالا . فقوله تعالى هنا (طيبين) يجمع كل هذه المعاني أي تتوفاهم الملائكة منزهين من الشرك مطمئني النفوس . وهذا مقابل قوله في أضدادهم (الذين تتوفاهم الملائكة طالمي أنفسهم) .

أي (تتوفاهم) ل مقارنة حال وهي (الملائكة) من حال (عليكم سلام يقولون) وجملة A E يتوفونهم مسلمين عليهم وهو سلام تأنيس وإكرام حين مجيئهم ليتوفوهم لأن فعل (تتوفاهم) يبتدئ من وقت حلول الملائكة إلى أن تنتزع الأرواح وهي حصة قصيرة .

وقولهم (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) وهو مقابل قولهم لأضدادهم (إن ا [عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم) . والقول في الأمر بالدخول للجنة حين التوفي كالقول في ضده المتقدم آنفا . وهو هنا نعيم المكاشفة .

(هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم ا [ولكن كانوا أنفسهم يظلمون [33] فأصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون [34]) استئناف بياني ناشئ عن جملة (قد مكر الذين من قبلهم) لأنها تثير سؤال من يسأل عن إبان حلول العذاب على هؤلاء كما حل بالذين من قبلهم فقول : ما ينظرون إلا أحد أمرين هما مجيء الملائكة لقبض أرواحهم فيحق عليهم الوعيد المتقدم أو أن يأتي أمر ا [. والمراد به الاستئصال المعرض بالتهديد في قوله (فأتى ا [بنيانهم من القواعد) .

والاستفهام إنكاري في معنى النفي ولذلك جاء بعد الاستثناء .

و (ينظرون) هنا بمعنى الانتظار وهو النظرة . والكلام موجه إلى النبي A تذكيرا بتحقيق الوعيد وعدم استبطائه وتعريضا بالمشركين بالتحذير من اغترارهم بتأخر الوعيد وحثا لهم على المبادرة بالإيمان .

وإسناد الانتظار المذكور إليهم على خلاف مقتضى الظاهر بتنزيلهم منزلة من ينتظر أحد الأمرين لأن حالهم من الإعراض عن الوعيد وعدم التفكير في دلائل صدق الرسول A مع ظهور تلك الدلائل وإفادتها التحقق كحال من أيقن حلول أحد الأمرين به فهو يتربص أحدهما كما تقول لمن لا يأخذ حذره من العدو : ما تترقب أن تقع أسيرا . ومنه قوله تعالى (فهل ينظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم) وقوله تعالى (إن تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين) . وهذا قريب من تأكيد الشيء بما يشبه ضده وما هو بذلك .

وجملة (كذلك فعل الذين من قبلهم) تنظير بأحوال الأمم الماضية تحقيقا للغرضين . والإشارة إلى الانتظار المأخوذ من (ينظرون) المراد منه الإعراض والإبطاء أي كإبطائهم فعل الذين من قبلهم أن يأخذهم العذاب بغتة كما أخذ الذين من قبلهم . وهذا التحذير لهم وقد رفع العذاب الاستئصال عن أمة محمد " E " ببركته وإرادته انتشار دينه .

و (الذين من قبلهم) هم المذكورون في قوله تعالى (قد مكر الذين من قبلهم)